العلاقة الدلالية بين إبليس والملائكة في ضوء قواعد باب الاستثناء

عودة أبو عودة
قسم اللغة العربية والعلوم الاجتماعية
جامعة عمان الأهلية

ملخص

من المبادئ الراسخة في الإسلام أن الملائكة خلق من نور، مفطورون على طاعة الله عز وجل وعبادته، وأن (إبليس) مخلوق من نار مشغول هو وذريته بإغواء الناس وإبعادهم عن طاعة الله. ولكن آيات القرآن الكريم تَذْكُرُ أنّ الله عز وجل أمرَ الملائكة بالسجود لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر عن السجود مما يشعر أن إبليس واحد من الملائكة. فهل هو واحد منهم؟ ولكن إحدى الآيات تقول إنه (كان من الجن) فهو ليس منهم. فما حقيقة العلاقة بين الملائكة وإبليس؟ إن هذا البحث يقدم الإجابة عن هذا السؤال في ضوء تحليل التركيب اللغوي للآيات القرآنية، ويستأنس بقواعد باب الاستثناء وبما ورد في كتب التفسير القرآني من توضيح الدلالة بين الكلمتين.

ABSTRACT:

A well - established tent to Islam is that the angles were and created out of light and that they are naturally devoted to worshipping God the Almighty. Ibliece, descendants, is bent upon tempting humans to stray from the path of righteousness. Several Koranic verses state that God the Almighty ordered all the angels to prostrate themselves before Adam, ant that they all did except Ibliece who was too proud to do so. These verses can be

interpreted to mean that Ibliece is one of the angles. The question is: Is he really one of them? The issue is complicated by the expression "Who was one of the Jinn" to be found in one of the said verses. Accordingly, Ibliece is not angel, but a member of the Jinn.

What is the relationship between Ibliece and the angles? This paper offers an attempt to answer this question in light of a linguistic analysis of the relevant Koranic verses. It draws upon ideas from the Koranic interpretations dealing with the denotations of the two words.

مدخل إلى البحث:

أصبح من المألوف المتعارف عليه، بل من قبيل الثقافة العامة لدى كل امرئ له صلة بالدراسات القرآنية بشكل خاص، وبالحضارة العربية بشكل عام، أن القرآن الكريم كتاب محكم في نظم آياته وتراكيب عباراته. فكل آية في القرآن الكريم مقصودة بحروفها وكلماتها وبتنظيم هذه الكلمات وفق العلاقات النحوية التي تربط بعضها ببعض، فلا تتقدم كلمة عن مكانها ولا تتأخر، ولا تغني كلمة عن كلمة أخرى في سياقها الذي وردت فيه، ولا ترادف كلمةٌ كلمةً أخرى وفق التحديد اللغوي الدقيق للترادف، وهو أن تقوم كلمة مقام أخرى في أيّ سياق[١]. ويمكن أن يقال أيضاً – في هذه المسألة – إن كلمات القرآن الكريم مقصودة بالصورة اللغوية التي وردت عليها من حيث التعريف والتنكير، والتأنيث والتذكير، والإفراد والتثنية والجمع، والتقديم والتأخير، والبناء للمعلوم والمجهول، وما إلى ذلك من صور لغوية يمكن أن ترد في سياق المعنى.

(١) انظر دور الكلمة في اللغة، ص ١١٦.

لقد أصبحت هذه المسألة اللغوية من المسلّمات التي يعتمد عليها الباحث إذا أراد أن يتحقق من أيّ فرضية لغوية أخرى. ولم يَعُدْ من الضروري أن يشغل الباحث نفسه بدراسة الترادف واثبات خلو القرآن الكريم منه إذا أراد أن ينشئ بحثاً أو دراسة حول أي أسلوب أو أي تركيب لغوي يرد في القرآن الكريم. إن الدراسات اللغوية التي بحثت في الترادف قديماً وحديثاً كثيرة جداً. ولا تكاد دراسة في الإعجاز القرآني تخلو من إقرار هذه الحقيقة.

اشتقاق كلمة الملائكة:

قد يفاجأ بعض الناس إذا علموا أن كلمة (ملَك) بفتح اللام، و (ملائكة) وردت في معاجم اللغة في مادة (أَلَكَ) وليس في مادة (مَلَكَ) كما قد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة. وعلى هذا فإن كلمة (مَلِك) بكسر اللام وجمعها مُلوك، وكلمة (مَلَك) بفتح اللام وجمعها ملائكة كلمات متقاربة في اللفظ، بل متشابهة، ولكنها بعيدة جداً في الاشتقاق والدلالة. وبينهما في تنظيم معاجم اللغة فصول عدة ومسافات شاسعة.

جاء في لسان العرب «أَلَك الفرسُ اللجامَ في فيه يألكه عَلَكَهُ، والأَلوكُ والمأْلَكة (بفتح اللام) والمأْلُكة (بضم اللام) الرسالة لأنها تُؤْلَكُ في الفم. قال لبيد[1]:

وغلام أرسلتُه أمُّه　　بألوكٍ فَبَذَلْنا ما سَأَلْ

قال، وقد يقال: مأْلُكة ومأْلُك، (بضم اللام في الكلمتين). قال عدي بن زيد:

أبلغ النعمانَ عنّي مأْلُكاً　　أنه قد طال حبسي وانتظار

ويقال: أَلَكَ بين القوم إذا تَرَسّل أَلْكاً وأُلوكا والاسم منه الأُلوك وهي الرسالة. وكذلك الألوكة والمألكة والمألك. فإن نقلته بالهمزة (أي إذا عدّيته بالهمزة) قلت ألكته إليه الرسالة، والأصل أألكته، فأخرت الهمزة بعد اللام (ألأكته) وخففت بنقل حركتها

(١) شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، ص ١٧٨.

على ما قبلها وحذفها (ألكته) فإن أمرت من هذا الفعل المنقول بالهمزة قلت ألكني إليها برسالة. وكان مقتضى هذا اللفظ أن يكون معناه أرسلني إليها برسالة، إلا أنه جاء على القلب إذ المعنى: كن رسولي إليها بهذه الرسالة.. وعلى ذلك قول عمر بن أبي ربيعة[١]:

ألكني إليها بالسلام فإنه ينكّر إلمامي بها ويشهّر

أي بلّغْها سلامي وكنْ رسولي إليها...

وقد يكون المرسَلُ هو المرسَلُ إليه، كقولك، ألكني إليك بالسلام أي كن رسولي إلى نفسك بالسلام، وعليه قول الشاعر:[٢]

ألكني يا عتيقُ إليك قولاً ستهديه الرواة إليك عني

وفي حديث زيد بن حارثة وأبيه وعمه:[٣]

ألكني إلى قومي وإن كنت نائيا فإنّي قطين البيت عند المشاعر

والمَلَكُ مشتق منه وأصله مأْلَك ثم قُلبت الهمزة إلى موضع اللام فقيل ملأك ثم خففت الهمزة بأن ألقيت حركتها على الساكن الذي قبلها فقيل مَلَك. وقد يستعمل متمما والحذف أكثر. قال الشاعر (وهو علقمة بن عبدة يمدح الحارث بن أبي شمر الغساني)[٤]:

ولست لأنسيّ ولكنْ لملأكٍ تنزّلُ من جوّ السماء يَصوبُ

والجمع ملائكة دخلت إليها الهاء لا لعجمة ولا لنسب ولكن على حدّ دخولها في القشاعمة والصياقلة، وقد قالوا الملائك، ويقال جاء فلان وقد استألك مألكته أي حمل

---

(١) ديوان عمر، ص ٦٤.

(٢) الزينة ١٦٣/٢.

(٣) المرجع السابق ١٦٣/٢.

(٤) المفضليات، ص ٣٩٤.

رسالته[١].

وقد وردت مادة الملائكة وما يشتق منها مثل (الملائكة) و (مَلَك) و (مَلكاً) و (المَلَكَيْن) و (ملائكته) ثمانياً وثمانين مرة. وهو العدد نفسه[٢] الذي تكررت فيه كلمة (الشيطان) وما يشتق منها مثل (الشياطين) و (شياطينهم)، وقد تساوى أيضاً عدد ذكر (الملائكة) و (الشيطان) في القرآن الكريم فقد ورد كل منهما ثمانياً وستين مرة.[٢]

وكلمة (ملأك) مفرد الملائكة قد تكون اسماً للزمان وللمكان من الفعل الثلاثي (ألك) وقد تكون مصدر ميمياً له، إذا اعتبرنا أن (ملأك) أصلها (مألك) من الفعل (ألك) ثم قلبت الهمزة إلى موضع اللام، كما جاء في لسان العرب مادة (ألك). ولكن لسان العرب نفسه عرض المادة مرة أخرى في مادة (لأك)، فقال: الملأك والملأكة الرسالة، والملأك المَلَك لأنه يبلغ الرسالة عن الله عز وجل فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على الساكن قبلها والجمع ملائكة، جمعوه متمماً وزادوا الهاء للتأنيث.[٣]

قال ابن الحاجب في الشافية «أسماء الزمان والمكان مما مضارعه مفتوح العين أو مضمومها من المنقوص على مَفْعَل نحو مَشْرب ومَقْتَل ومَرْمى. ومن مكسورها والمثال على مَفْعِل نحو مَضْرِب وموعد..»[٤].

وقال أيضاً «ويجيء المصدر (يعني المصدر الميمي) من الثلاثي المجرد أيضاً على مفعل مطوراً كمقتل ومضرب..»[٥].

وعلى هذا فإن (مَلْأك) مفردَ الملائكة يمكن أن يكون مصدراً للزمان والمكان أو

---

(١) لسان العرب، مادة ألك.

(٢) انظر عالم الجن والملائكة، ص ٥٠، وكذلك المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ومن الجدير بالذكر أن صاحب هذا المعجم لم يفطن إلى ختلاف أصل الاشتقاق اللغوي بين الملوك والملائكة.

(٣) لسان العرب مادة لأك.

(٤) شرح شافية ابن الحاجب ١٨١/١.

(٥) المصدر السابق نفسه ١٨١/١.

مصدراً ميمياً. والمصدر الميمي يكون بمعنى المصدر الصريح، نحو مسعى بمعنى السعي، ومقال بمعنى القول، وهكذا.

فالملأك إذن، وهو الذي خفف فصال (ملكاً) هو الذي يحمل الرسالة (المألكة) من مكان إلى مكان، أو من جهة إلى أخرى. جاء في لسان العرب «يقال جاء فلان قد استألك مألكته أي حمل رسالته»(١).

والملائكة هم رسل الله عز وجل فيما تقتضيه حكمته. ويمكن أن يكون (الملأك) هو الترسل نفسه أو السعي من جهة إلى أخرى برسالة، وهو غير بعيد عن المعنى الأول. ويمكن كذلك أن يكون (الملأك) موضع حمل الرسالة وزمانه، ويكون الملائكة بذلك العنصر أو الجهة التي اختارها الله عز وجل، أو الاصح خلقها وأعدها لتكون موضع حمل الرسالة وأداء الأمانة التي توكل إليها. قال أبو حاتم الرازي «وكأن الملائكة مأخوذ من المألكة وهي الرسالة لأن الله عز وجل أرسل الملائكة إلى الأنبياء بالرسالة، ويكون معنى الملائكة الرسل. وبهذا وصفهم الله عز وجل حيث يقول ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس﴾(٢)، والله عز وجل يوحي إلى الملك، والملك يوحي إلى النبيّ»(٣).

وقد اقتضت مشيئة الله أن يخلق الملائكة من النور، والجن من النار، والإنس من الطين، وقد نص القرآن الكريم على خلق الجن من النار وخلق الإنسان من طين في قوله عز وجل ﴿قالَ يا إبليسُ مَا مَنَعَكَ أن تَسجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أستَكْبَرتَ أمْ كُنتَ مِنَ العَالينَ * قالَ أنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتني من نَارٍ وخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾(٤).

ولكن لم يرد في القرآن الكريم - فيما أعلم - نصّ صريح على خلق الملائكة من نور، ولكن ذلك ورد في الحديث النبوي الشريف، فقد ورد في صحيح مسلم «أخبرنا

(١) لسان العرب، مادة ألك.

(٢) الحج، ٧٥،

(٣) الزينة، ١٦٣/٢.

(٤) سورة (ص): ٧٥-٧٦.

معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم.[١]

العلاقة بين إبليس والملائكة:

شغلت العلاقة بين إبليس والملائكة الناس كثيراً، وقد حاول بعض المفسرين الإجابة عن السؤال: هل إبليس من الملائكة أم لا؟ ولقد يبدو هذا السؤال بسيطاً موجزاً ولكنه في الحقيقة سؤال صعب يحتاج إلى مزيد من طول النظر، والتبصر، والتدبر في آيات الله عز وجل. ولقد أعرض العلماء السابقون، في كتب التفسير ومعاجم اللغة، والدراسات النحوية والصرفية عن الإجابة عن هذا السؤال. وقصارى ما فعلوه هو أنهم عرضوا للأمر عند تفسير كل آية ورد فيها استثناء إبليس من الملائكة، فبعضهم قال إنه استثناء متصل، وبعضهم قال إنه استثناء منقطع، دون أن يصل بالأمر إلى نتيجة حاسمة. وبعض الكتب كانت تعرض الآراء دون الوقوف إلى جانب أي منها. واعتقد ان الأمر ما زال معروضاً أمام نظر الباحثين.

وأودّ قبل المضيّ في تفصيلات هذه المسألة أن أؤكد حقيقة شعرت بها في هذا البحث، وهي أن السادة العلماء في الزمن الماضي كانوا لا ينتهون في المسائل التي يناقشونها إلى نهايات حاسمة، ولا يجيبون عن الأسئلة التي يبدأون بها مسألة هامة إجابات شافية. وهو أمر لا يسرّ الباحث المعاصر الذي اعتاد دراسة المسألة دراسة متخصصة. لقد امتازت الدراسات القديمة بالتفصيلات الواسعة والآراء الكثيرة، والروايات المتعددة، وعرض وجهات النظر المتضاربة، ولكنها كانت تكتفي بذلك، وربما قال المفسر أو الباحث أنه يميل إلى رأي دون آخر أو يرجح رأياً على رأي. ولكن حتى هذا الميل قليل جداً إذا قيس بكثرة المسائل الخلافية التي حفلت بها كتب الفقه والتفسير بخاصة، وكتب اللغة بشكل عام.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، الجزء الثامن عشر، كتاب الزهد، ص ١٢٣، الدار الثقافية العربية، بيروت، تصوير عن الطبعة الأولى. ١٩٣٠م.

ثم إن هذه المصادر غالباً ما يعتمد اللاحق منها على سابقه فيما يعرضه من تفصيلات المسألة الواحدة. وهذه ملاحظة سرعان ما تنكشف للباحث إذا لاحق مسألة محددة في بضعة مصادر يتبع بعضها بعضاً في تاريخ تأليف كل منها. وتبرز هذه الملاحظة بقوة في كتب التراجم والسير والتفسير بشكل خاص. ولم تخرج مسألة كون إبليس من الملائكة أم لا عن هذا الحكم. وقد تسنى لي، من أجل الوصول إلى رأي مريح في هذه المسألة، مراجعة جلّ كتب التفسير والنحو واللغة، فوجدت أن المصادر يأخذ بعضها من بعض، بالتفصيل تارة، وبإيجاز تارة أخرى، وكثيراً ما تعرض المصادر الأقوال نفسها، ولكنها جميعاً لم تصل في النهاية إلى إجابة حاسمة عن هذا السؤال الكبير.

وربما يكون مفيداً هنا أن أذكر بإيجاز شديد اشتقاق كلمة (إبليس) وكلمة (شيطان) بعد أن عرضت اشتقاق كلمة (ملائكة). وقد بحثت هاتين الكلمتين بتفصيل واسع في مكان آخر.[١] وقد اختلف علماء اللغة في أصل اشتقاق كلمة إبليس، فبعضهم قال إنها كلمة يونانية، وبعضهم قال إنها عربية الاشتقاق من المادة اللغوية (بلس)، ومنها (الإبلاس) وهو اليأس من رحمة الله، وأبلس من رحمة الله يئس وندم. وأنا أرجح هذا الرأي وإن كان يعكر صفوه كون (إبليس) ممنوعاً من الصرف في استعمال القرآن الكريم. ويمكن حمل ذلك على العلمية ومشابهة الألفاظ الأعجمية في وزنه، و (إبليس) هو علم على هذا المخلوق الذي كان بصورة أو بأخرى من الملائكة في البداية، ثم عصى ربه فطرد من رحمته، وأهبط إلى الأرض ليقوم بما تعهد به من إغواء عباد الله وصرفهم عن الصراط المستقيم.

وكلمة شيطان لا شك في أنها عربية الاشتقاق ولكنهم اختلفوا: أمن شطن هي أم من شاط، وقد فصلت هذه الآراء في مكان آخر،[٢] ولكني على يقين من أنها من (شطن). والشيطان صفة لإبليس، وهي صفة مَنْ يُبْعد الناس عن عبادة الله، ويصرفهم عن طاعته، وقد يوصف بها بعض الإنس والجن. ومن الناس من يفوق الشيطان في دهائه

(١) انظر التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، ص ٤٧١ - ٤٨٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٧٨.

ومكره، ولذلك وصف الله عز وجل بعض بني البشر بأنهم شياطين، فورد في القرآن الكريم جمع كلمة شيطان، وورد تعبير (شياطين الإنس والجن) في الآية (١١٢) من سورة الأنعام.

وتتحدد القضية (علاقة إبليس بالملائكة) عندما نرى أن جل الآيات التي ورد فيها ذكر (إبليس) وعددها إحدى عشرة تستثني إبليس من الملائكة. ومن المستحسن عرضها الآن متوالية للتدبر فيها ومحاولة الإجابة عن السؤال الكبير، هل إبليس واحد من الملائكة؟

- قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنا لِلَملائكةِ اسجُدُوا لآدمَ فَسَجَدوا إلا إبْليسَ أَبَى واسْتَكْبَرَ وَكَان مِنَ الكافرين﴾.(١)
- قال تعالى: ﴿ثُمَّ قُلْنَا للملائِكَةِ اسْجُدوا لِآدمَ فَسَجَدُوا إلا إبْليسَ لَمْ يَكُن مِنَ الساجِدِينَ﴾.(٢)
- قال تعالى: ﴿فَسَجَدَ المَلائكةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إلا إبْليسَ أَبَى أن يَكُون مِنَ السَّاجِدينَ﴾.(٣)
- قال تعالى: ﴿وَإذ قُلْناَ للملائكةِ اسجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلا إبْليسَ﴾.(٤)
- قال تعالى: ﴿وَإذ قُلْنا للملائكةِ اسْجُدُوا لآدم فَسَجَدُوا إلا إبْليسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِهِ﴾.(٥)
- قال تعالى: ﴿وَإذ قُلْنا للملائكةِ اسجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدوا إلا إبْليسَ أَبَى﴾.(٦)

(١) البقرة: ٣٤.
(٢) الأعراف: ١١.
(٣) الحجر: ٣٠-٣١.
(٤) الإسراء: ٦١.
(٥) الكهف: ٥٠
(٦) طه: ٧٣-٧٤.

- قال تعالى: ﴿فَسَجَدَ الملائكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعون * إلا إبْليسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافرينَ﴾.(١)

فهذه سبعة مواضع تكاد تكون بنصّ واحد، أما المواضع الأخرى التي ورد فيها (إبليس) فهي لا تعدو هذا المعنى، وهي:

- قال تعالى: ﴿قَالَ يا إبْليسُ مَالَكَ ألا تَكُونَ مَعَ الساجِدينَ﴾.(٢)
- قال تعالى: ﴿قَالَ يا إبْليسُ مَا مَنَعَكَ أن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾.(٣)
- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِم إبليسُ ظَنَّهُ فاتَّبَعُوهُ إلا فَريقاً مِنَ المُؤمنينَ﴾.(٤)
- قال تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيها هُمْ والغَاوونَ * وَجُنُودُ إبليس أَجْمَعونَ﴾(٥)

وكان يمكن ألا تنشأ قضية في هذا الموضوع لو استثنينا آية سورة الكهف من هذه الآيات الكريمة، أو لو استثنينا قوله عز وجل: ﴿كان من الجن﴾ من الآية نفسها. إن عبارة ﴿كان من الجن﴾ إذن، هي التي كوّنت قضية كبرى شغلت العلماء والمفسرين والباحثين.

فإبليس من الملائكة في النصوص القرآنية الصريحة السابقة، يؤمرون بأمر، ويؤمر هو منهم، ويقومون بهذا الأمر، ولا يقوم به هو، ويعصي ربه فيطرد من رحمته، ومن جنته. وإبليس من الجن، بنص الآية الكريمة ﴿كان من الجن﴾ فهو - إذن - ليس من الملائكة، كما فهم ذلك المفسرون، فتتحددّ - إذاً - قضية كبيرة تغري المرء بمحاولة البحث عن حلها.

وقد تحددّ لدى المفسرين والنحاة، لدى مناقشة هذه المسألة رأيان أساسيان:

---

(١) ص: ٧٣-٧٤.

(٢) الحجر: ٣٢.

(٣) ص: ٧٥.

(٤) سبأ: ٢٠.

(٥) الشعراء: ٩٤، ٩٥.

الرأي الأول:

أن إبليس من الملائكة، وأن الاستثناء في الآيات الكريمة هو استثناء متصل، وقد احتج أصحاب هذا الرأي بالمبادئ التالية:

١ - أن الله عز وجل استثنى ابليس من الملائكة، والأصل أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه للاتفاق على صحة الاستثناء من الجنس ووقوع الخلاف في غيره.(١) وقد ورد هذا الرأي نفسه عند الطبري حيث يقول: «وإذْ أسجدت له ملائكتي فسجدوا له ثم استثنى من جمعهم إبليس فدلّ باستثنائه إياه منهم على انه منهم، وأنه ممن قد أمر بالسجود معهم...»(٢). وقال مثل ذلك الفخر الرازي في التفسير الكبير «واحتج القائلون بكونه من الملائكة بأمرين: الأول: أن الله تعالى استثناه من الملائكة، والاستثناء يفيد إخراج ما لولاه لدخل أو لصح دخوله، وذلك يوجب كونه من الملائكة(٣). وورد هذا الرأي أيضاً عند القرطبي في تفسيره، وعند الشوكاني في فتح القدير، وابن عطية الأندلسي في المحرر الوجيز، والآلوسي في روح المعاني، وغيرهم.(٤)

٢ - أن الأمر بالسجود لآدم إنما كان للملائكة لقوله تعالى: «وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ ولو لم يكن إبليس من الملائكة لما كان عاصياً للأمر المتوجه للملائكة، لكونه ليس منهم(٥)، ودليل عصيانه قوله تعالى ﴿إلا إبليس أَبَى واستَكْبَرَ وكَانَ من الكَافرينَ﴾(٦). وساق هذه الحجة معظم المفسرين الذين سبقت الإشارة إليهم.

---

(١) انظر، الاستغناء في أحكام الاستثناء: ٥١٤.

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الطبري) ١٧٧/١.

(٣) التفسير الكبير، ٢١٣/١.

(٤) انظر تفسير القرطبي ٢٩٤/١، وفتح القدير ٨٢/١، والمحرر الوجيز ١٢٤/١، وروح المعاني ٢١٠/١، وتفسير القرطبي ١٧٨/١، والكشاف ٢٧٣/١.

(٥) الاستغناء في أحكام الاستثناء، ٥١٤/١.

(٦) البقرة: ٣٤.

الرأي الثاني:

أن إبليس ليس من الملائكة، وأن الاستثناء في الآية الكريمة في سورة الكهف استثناء منقطع، وقد احتج اصحاب هذا الرأي بحجج عدة، أهمها ما يلي:

١ - أن القرآن الكريم نصّ عليه أنه من الجن في قوله تعالى في سورة الكهف ﴿وإذ قُلْنا للملائكةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلا إبليسَ كَانَ مِنَ الجِنِ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾.(١)

٢ - قول الله عز وجل في سورة سبأ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَميعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلملائِكَةِ أَهؤلاءِ إياكُمْ كانوا يَعْبُدُون * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدونَ الجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُؤْمِنُونَ﴾(٢).

٣ - أن إبليس له ذرية والملائكة لا ذرية لهم، إنما قلنا إن إبليس له ذرية لقوله تعالى في صفته ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وذُرِيَّتَهُ أَولِيَاءَ مِنْ دُوني وَهُم لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ للظَّالمينَ بَدَلاً﴾.(٣) وهذا صريح في إثبات الذرية له. وإنما قلنا إن الملائكة لا ذرية لهم لأن الذرية إنما تحصل من الذكر والأنثى والملائكة لا أنثى فيهم لقوله تعالى ﴿وَجَعَلُوا المَلائِكَةَ الذينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِنَاثاً أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْألونَ﴾.(٤) أنكر على من حكم عليهم بالأنوثة فإذا انتفت الأنوثة انتفى التوالد لا محالة فانتفت الذرية.(٥)

٤ - أن الملائكة معصومون وإبليس لم يكن كذلك فوجب ألا يكون من الملائكة.

٥ - أن إبليس مخلوق من نار، والملائكة ليسوا كذلك... ولأن من المشهور الذي لا يدفع أن الملائكة روحانيون، وقيل إنما سموا بذلك لأنهم خلقوا من الريح أو

---

(١) الكهف: ٥٠.

(٢) سورة سبأ: ٤٠-٤١.

(٣) الكهف: ٥٠.

(٤) الزخرف: ١٩.

(٥) التفسير الكبير، ٢١٤/١.

الروح.[١]

٦ - أن الملائكة رسلٌ لقوله تعالى ﴿جَاعِلِ الملائكةِ رُسُلاً﴾.[٢] ورسل الله معصومون، لقوله تعالى ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ﴾[٣] فلما لم يكن إبليس كذلك وجب ألا يكون من الملائكة.[٤]

ثم وثب كل فريق يفند آراء الفريق الآخر التي استند إليها. فأصحاب الرأي الأول قالوا إن قوله تعالى عن إبليس ﴿كان من الجن﴾ لا يخرج إبليس من الملائكة، لأن الجن في نظرهم «مأخوذ من الاجتنان وهو الستر ولهذا سمي الجنين جنيناً لاجتنانه، ومنه الجنة لكونها ساترة والجنة لكونها مستترة بالأغصان، ومنه الجنون لاستتار العقل فيه، ولما ثبت هذا والملائكة مستورون عن العيون وجب اطلاق لفظ الجن عليهم بحسب اللغة».[٥]

وجاء في تفسير الطبري في توضيح هذه الفكرة: «وحدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثنا محمد بن اسحق قال: أما العرب فيقولون ما الجن إلا كل من اجتن فلم ير، وأما قوله ﴿إلا إبليس كان من الجن﴾ أي كان من الملائكة وذلك أن الملائكة اجتنوا فلم يروا. وقد قال الله جل ثناؤه ﴿وَجَعَلوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجِنَّةِ نَسَباً وَلَقَدْ عَلِمَتِ الجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرونَ﴾[٦]. وذلك لقول قريش إن الملائكة بنات الله، فيقول الله إن تكن الملائكة بناتي فإبليس منها، وقد جعلوا بيني وبين إبليس وذريته نسبا. قال وقد قال الأعشى، أعشى بني قيس بن ثلعبة البكري، وهو يذكر سليمان بن داود وما أعطاه الله[٧]:

وسخر من جن الملائك تسعة قياما لديه يعملون بلا أجر

(١) السابق، ٢١٤/١.

(٢) فاطر: ١.

(٣) الأنعام: ١٢٤.

(٤) التفسير الكبير: ٢١٤/١.

(٥) السابق: ٢١٣/١.

(٦) الصافات: ١٥٨.

(٧) الزينة: ١٦٤/٢.

قال: «فأبت العرب في لغتها إلا أن الجن كل ما اجتن، يقول ما سمى الله الجن إلا أنهم ا اجتنوا فلم يُروا وما سمى بني آدم الإنس إلا أنهم ظهروا فلم يجتنوا، فما ظهر فهو إنس وما اجتن فلم ير فهو جن»[١].

وقد أوردت كتب التفسير أقوالاً كثيرة تحاول أن تفسر قوله تعالى عن إبليس أنه (كان من الجن) لتثبت أيضاً أنه من صنف الملائكة، فقد أورد القرطبي في تفسير «وحكى الماوردي عن قتادة أنه كان من أفضل صنف من الملائكة يقال لهم الجنة، وقال سعيد بن جبير إن الجن سبط من الملائكة خلقوا من نار وإبليس منهم، وخلق سائر الملائكة من نور، وقال شهر بن حوشب وبعض الأصوليين، كان من الجن الذين كانوا في الأرض وقاتلتهم الملائكة فَسَبَوْهُ صغيراً وتعبد مع الملائكة وخوطب.[٢]

وفريق يرى أن قوله تعالى ﴿كان من الجن﴾ هو بمعنى صار من الجن كما أن قوله ﴿وكان من الكافرين﴾ «أي صار من الكافرين»[٣].

وناقش أبو جعفر بن جرير الطبري العلل الأخرى التي احتج بها من لا يرون أن إبليس من الملائكة فقال: وهذه علل تنبئ عن ضعف معرفة أهلها، وذلك أنه غير مستنكر أن يكون الله جل ثناؤه خلق أصناف ملائكته من أصناف من خلقه شتى، فخلق بعضاً من نور وبعضاً من نار، وبعضاً مما شاء من غير ذلك، وليس فيما نزل الله جل ثناؤه الخبر عما خلق منه ملائكته، وإخباره عما خلق منه إبليس ما يوجب أن يكون إبليس خارجاً عن معناهم، وإذا كان جائزاً أن يكون خلق صنفاً من ملائكته من نار وكان منهم إبليس وأن يكون أفرد إبليس بأن خلقه من نار السموم دون سائر ملائكته، وكذلك غير مخرجه أن يكون كان من الملائكة بأن كان له نسل وذرية لما ركب فيه من الشهوة واللذة التي نزعت من سائر الملائكة لما أراد الله به من المعصية. وأما خبر الله عنه أنه من الجن فغير مدفوع أن يسمى ما اجتن من الأشياء عن الأبصار كلها جنا كما ذكرنا قبل في شعر

---

(١) تفسير الطبري: ١٧٩/١.

(٢) تفسير القرطبي، ٢٩٤/١، وانظر أيضاً تفسير الآلوسي ٢١١/١.

(٣) تفسير ابن كثير، ٧٧/١، وتفسير الطبري ١٧٨/١، والتفسير الكبير، ٢١٣/١.

الأعشى[١].

وأما أن الملائكة رسل معصومون ﴿لا يَعْصُونَ اللّهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلونَ ما يُؤْمَرونَ﴾.[٢] فقد أجاب أصحاب الرأي الأول بأن هذا لا يمتنع أن يخرج إبليس من جملة الملائكة لما سبق في علم الله بشقائه عدلاً منه، لا يسأل عما يفعل.[٣]

واحتج أصحاب الرأي الثاني بظاهر الآية الكريمة في سورة الكهف وعدّوا الاستثناء فيها منقطعاً وهو الاستثناء الذي تحكم به على غير جنس ما حكمت به أولاً[٤]. ولذلك رأوا في قوله تعالى ﴿إلا إبليس كان من الجن﴾ أنه استثناء من غير جنس الملائكة الذين استثنى إبليس منهم. فالملائكة جنس آخر غير الجن، وأما أن (الجن) كلمة تجمع الملائكة والجن وكل ما استتر، كما سبق بيانه، فقد ردوا عليه بأنه «لا يلزم من صدق ما منه الاشتقاق على شيء صدق ذلك الاسم المشتق على ذلك الشيء، لأن باطن الأرض والجبال وغير ذلك من الأمور المخفية مستتر ولا يسمى شيء من ذلك جنا. وكذلك الأرواح والنفوس وخصائص الحقائق من الأسرار لا ترى بالعين ولا يسمى شيء من ذلك جنا، وكذلك المجن والجنين صدق عليهما الاجتنان، ولا يسمى شيء من ذلك جنا، فهذه النزعة واهية».[٥]

«وأما تناول الأمر له فعلى عادة العرب إذا ورد أمر على قبيلة تناول مواليها وأتباعها، وإبليس كان منسبا للملائكة من جهة أنه رفعه الله تعالى يومئذ في طورهم في الملأ الأعلى وتعاطى من العبادة ما يتعاطونه، حتى كان يسمى، كما قيل طاووس الملائكة... فلذلك تناوله أمر الله تعالى للملائكة».[٦]

---

(١) تفسير الطبري، ١/١٨٠، وانظر تفسير القرطبي، ١/٢٩٤-٢٩٥.

(٢) التحريم: ٦.

(٣) تفسير القرطبي: ١/٢٩٤.

(٤) الاستغناء في أحكام الاستثناء، ٤٤٧.

(٥) الاستغناء في أحكام الاستثناء، ٥٢٠، وانظر أيضاً التفسير الكبير، ١/٢١٤.

(٦) الاستغناء في أحكام الاستثناء، ٥٢٠-٥٢١.

ومن العجيب أن السادة العلماء - رضي الله عنهم - على الرغم من إيرادهم هذه التفصيلات، وما أوردته منها هو القليل القليل، لا ينتهون إلى رأي قاطع في الأمر، بل يصرّحون أحياناً بأنهم لا رأي لهم في الموضوع، هذا الفخر الرازي، يقول بعد أن عرض القضية بالتفصيل «فهذا ما عندي في الجانبين والله أعلم بحقائق الأمور»[١]. وهذا القرطبي يعرض الآراء كلها، ولا يتدخل في ترجيح أي منها، وتراه أحياناً يذكر رأيين متقابلين لشخص واحد، فهو يقول - مثلا - (إلا إبليس) نصب على الاستثناء المتصل لأنه كان من الملائكة على رأي الجمهور: ابن عباس وابن مسعود وابن جريج وابن المسيب وقتادة وغيرهم...»[٢] وفي الصفحة نفسها يروي لابن عباس وقتادة، رأياً مقابلاً حيث يقول: «وقال ابن زيد والحسن وقتادة أيضاً: إبليس أبو الجن كما أن آدم أبو البشر، ولم يكن ملكا، وروى نحوه عن ابن عباس وقال اسمه الحارث).[٣]

فما الأمر إذاً؟

الأمر عندي رأيٌ فيه تصديق القولين جميعاً.

فإبليس من الملائكة لا شك في ذلك ولا ريب، وإبليس (كان من الجن) لا شك في ذلك ولا ريب. هذا نصّ آيات القرآن الكريم. وأود أن أؤكد في بداية هذا القول حقيقة راسخة هو أن القرآن الكريم لا حشو فيه ولا زيادة ولا نقص، ولا ترادف، بل إن كل كلمة فيه قد وضعت في مكانها الذي لا تغني فيه عنها كلمة غيرها، وقد أشرت إلى ذلك بإيجاز في مدخل هذا البحث.

ولذا فإنه ليس من المقبول أو المعقول أن نمرّ على إصرار آيات الله عز وجل على ذكر إبليس ضمن الملائكة الذين أمروا بالسجود لآدم في كل الآيات القرآنية التي ذكرت ذلك، ثم نقول إن إبليس ليس من الملائكة.

---

(١) التفسير الكبير، ٢١٥/١.

(٢) تفسير القرطبي، ٢٩٤/١.

(٣) تفسير القرطبي، ٢٩٤/١.

﴿وإذْ قُلْنَا للملائكةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إلا إبْليسَ﴾ لو أراد الله عز وجل غير هذه الحقيقة لعرضها للناس في غير هذا التركيب، ولما تكرّر هذا التركيب نفسه في الآيات التي عرضت هذه المسألة جميعها. ولكن إلف العادة، التي استحكمت في القلوب عشرات القرون، تجعل المرء منا يفزع عندما يقال له إن ابليس من الملائكة. وحق له، لأن الملائكة يمثلون جانب الخير وإبليس وقبيله يمثلون جانب الشر. ولكن إذا عدنا إلى عروبة لغة القرآن الكريم التي بدأنا بها هذا البحث لوجدنا بصيصاً من الضوء الذي قد ينير لنا بعض جوانب هذه المسألة. أقول بعض جوانب هذه المسألة لأني أدرك أن هذا القرآن الكريم مستمر مع الزمن، تنكشف حقائقه ومعانيه أكثر فأكثر كلّما تعددت أدوات المعرفة الإنسانية، وتقدم العلم البشري. فما نراه اليوم شيئاً كاليقين، قد يبتسم منه أبناؤنا رحمة وشفقة علينا أنْ كانت هذه الآراء الساذجة مبلغ علمنا ومنتهى معرفتنا. ونحن الآن مدعوون إلى فهم القرآن الكريم فهماً يتناسب مع الحقائق العلمية المتجددة في شؤون الحياة كلها: الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ولا أقول الفلكية فقط. أقول: إن الأيام القادمة قد تكشف عن حقيقة الملائكة وحقيقة إبليس. ولكن مهما يكن من أمر فإن إبليس لا يخرج عن نطاق الملائكة في ضوء الحقيقة اللغوية التي ترسمها الكلمة، فهم خلق من خلق الله، أرادهم الله أن يكونوا رسلاً متنقلين بين مخلوقاته، يتعاقبون فيهم بالليل والنهار، ويحفظونهم ويسجلون كل ما يصدر منهم، ويراقبونهم ولا يغفلون عن أي منهم لحظة من زمن. وإبليس بهذه الصفات قادر على أن يتلبس بني آدم، فهو يجري فيه مجرى الدم كما وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم»[1] ولو راقب كل منا نفسه وصارحها لرأى إبليس رأي العين، يوسوس له آناء الليل وأطراف النهار، ويجري منه مجرى الدم. وهذا هو الفرق بين الملائكة وإبليس. الملائكة تقوم بالخير. وإبليس يوسوس بالشر. فلم لا يكون لفظ الملائكة دالاً على وظيفة أمر بها خلق من خلق الله، ومنه إبليس، ولكنه عندما تكبر وسوّلت له نفسه بالعصيان، خرج عن أمر الله، فاستغل هذه القدرة وهذه الوظيفة في الشر. وهنا يمكن أن نستأنس بملحظٍ بلاغي هو أن كون إبليس من الملائكة يمكن أن يكون على

(١) صحيح البخاري، باب بدء الخلق، المجلد الثاني، الجزء الرابع، ص ١٥٠.

أسلوب المجاز المرسل على قرينة اعتبار ما كان لأنه كان من الملائكة ثم فسق عن أمر ربه وبهذا يكون الاستثناء في الآية متصلاً. وإبليس أيضاً من الجن الذي شاء الله عز وجل منذ خلقهم أن يكون منهم المسلمون، ومنهم القاسطون ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً * وأَمَا القَاسِطونَ فَكَانوا لِجَهَنَّم حَطَباً﴾[1] فإبليس – إذا – كان من الجن، كما وصفه الله عز وجل، ولذلك أبى واستكبر وكان من الكافرين، بعد أن كان واحداً من الملائكة الذين يعبدون الله عز وجل ويقومون بأمره.

وهنا أيضاً يمكن أن نستأنس بملحظ (الخفاء) في الجمع بين الملائكة والجن، فنقول أن الله عز وجل يعلم حقيقة ابليس وقد سبقت كلمته أن يكون من الملائكة بداية ثم تدفعه طبيعة خلقه أن يفسق عن أمر ربه فيخرج من الملائكة بعصيانه وإبائه وكفره، وبخاصة أن الجن منهم المسلمون ومنهم القاسطون، أي العصاة الكفرة، وكان إبليس منهم بعد عصيانه وكفره.

وليس مهماً بعدُ أن نطوع كلمة (الجن) إلى معنى الاجتنان، فالجن كلمة قرآنية تعني هذا النوع من خلق الله، كما أنه ليس مما يعطل هذا الرأي أن الجن يتناسلون والملائكة غير ذلك. فنحن لسنا على يقين من أن الملائكة لا تتكاثر. وأقول (لا تتكاثر) وابتعد عن كلمة (لا تتناسل) لارتباطها بوجود الذكر والأنثى، اللذيْن ارتبطت بهما فكرة التناسل، ولكنّا علمنا ان في هذه الأرض مخلوقات تتكاثر بالانقسام، حتى تصبح ملايين في فترة وجيزة. وعلمنا أيضاً أن الله عز وجل أقام الحياة الكونية على فكرة الزوجية، ولكنه جل شأنه لم يطلعنا على تفاصيل هذه الزوجية، فقال تعالى: ﴿سُبْحانَ الذي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّها مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ ومِمَّا لا يَعْلَمُون﴾[2] فما المانع أن يكون الملائكة مما لا نعلم؟ وما المانع أن يتكاثر الملائكة بأسلوب آخر غير ما نعرفه في الإنس والجن. وهل خَلَق الله عز وجل هذه الملايين من الملائكة التي تحدثنا عنهم الكتب مرة واحدة، أم أنهم يتكاثرون بأسلوب أرادته حكمة الله لهم؟ على أن كل هذه الأمور لا

(١) سورة الجن: ١٤-١٥.

(٢) يس: ٣٦.

يعيق جهلنا بها حقيقة حياتنا، ولا يعطلُ فَهْمُنا لآيات الله عز وجل في قرآنه الكريم.

وقد أثبتت آيات الله عز وجل أن الجن فيهم رجال ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإنسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الجِنِ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً﴾[١] وقد قابلت آيات القرآن الكريم بين الرجال والنساء كثيراً، منها قوله عز وجل ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِساءً﴾[٢] وقوله تعالى ﴿لِلرِجالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الوالِدَانِ والأَقْرَبُونَ وللنِساءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الوالِدان والأَقْرَبون﴾[٣] فإذا كان الأمر كذلك، فإننا نتوقع أن يكون في الجن نساء كذلك. وكذلك أثبتت لنا آيات القرآن الكريم أن الله عز وجل خلق الأرض للأنام وهم الإنس والجن.[٤] قال تعالى ﴿والأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنام * فِيها فَاكِهَةٌ والنَّخْلُ ذاتُ الأَكْمامِ* والحَبُّ ذُو العَصْفِ والرَّيْحَانُ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبَانِ﴾[٥].

فإذا كانت الأرض مسرحاً لحياة الإنس والجن، ومكان التكليف لهما، فإنه – ربما – من تمام إرادة الله عز وجل أن يكون إبليس كان أولاً من الملائكة العابدين، ثم أشقته نفسه فعصى ربه عز وجل فطرد من رحمته، وأهبط من جنته، ولكن إبليس أخذته العزة بالإثم، فأقسم بعزّة الله – التي يعرفها هو حق المعرفة – أن يترصّد عباد الله بالغواية والفتنة، إلا من حصّن نفسه بطاعة الله وذكره وعبادته. قال الله عز وجل ﴿فَسَجَدَ الملائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إلا إبليسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكافِرِينَ * قَالَ يا إبليسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ العَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَني مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَكَ رَجيمٌ * وإنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتي إلى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرني إلى يَومِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ المُنْظَرِينَ * إلى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلومِ * قَالَ

---

(١) الجن: ٦.

(٢) النساء: ١.

(٣) النساء: ٧.

(٤) انظر لسان العرب مادة: أنم.

(٥) سورة الرحمان: ١٠-١٣.

فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ المُخْلَصِينَ﴾.[١]

هذه الآيات الكريمة توشك أن تصرح بالحقيقة، بل إنها فعلت ذلك، إن إبليس كان من الملائكة، ولكنه – لجنيته وجنونه – أبى واستكبر وكفر، واستغرق في الكفر، فطرد من رحمة الله وجنته.

وسيدنا آدم عليه السلام، كان في الجنة، فعصى ربه بفعل وسوسة إبليس، ولكنه سرعان ما استغفر ربه وتاب إليه، وأناب، فتاب عليه ربه وهدى، ولكنه استحق بهذا العمل أن يخرج من الجنة هو وزوجه ليهبط إلى الأرض، ليعمرها وليلتقي الخير بالشر في صراع دائم، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ﴿قَالَ اهبِطوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ في الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ومَتاعٌ إلى حينٍ﴾[٢].

ولعل في هذا ما يفسر حقيقة إبليس الذي أصرت آيات القرآن الكريم أن تعده من الملائكة، ثم صرحت في بعض آية أنه من الجن، وفي آيات كثيرة أنه عصى ربه، واستكبر، فطرد من رحمته، وهذا كله يحقق المعاني والدلالات التي تحملها الكلمات والتراكيب القرآنية الكريمة، فكلمات إبليس، والملائكة، تشعر بذلك، كما سبق بيانها. وقد عرف إبليس – بعد تكبره وعصيانه وكفره – بصفة الشيطان، وهو الذي يبعد الناس عن عبادة الله، وهي الصفة التي أخرجته من دائرة الملائكة، ومن اللافت للنظر أن كلمة الملائكة ومُشتقاتها وردت في القرآن الكريم بالعدد الذي وردت فيه كلمة الشيطان ومشتقاتها، وفي ذلك دلالة كبيرة يعلم الله عز وجل حكمته فيها، وربما كان منها ان إبليس الذي عاش فترة ضمن دائرة الملائكة ثم خرج منها ليبدأ فترة أخرى في الاستغراق في المعصية والفتنة وأغواء الناس، هذه الفترة تمتد إلى قيام الساعة، وهي فترة لا شك لها وزنها وأهميتها.

لقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب، فما ضَرّنا بأن نتمسك بها وأن نتخذها مرجعاً

(١) سورة ص: ٧٣-٨٣.

(٢) الأعراف: ٢٤.

في فهم آيات الله عز وجل، لأن شأن القرآن - يقول شهاب الدين العرافي - أن يكون عربياً على منوال العرب لا على منوال الربوبية، لأن كل ما كان حسناً في كلام العرب كان كذلك في كلام الله تعالى، وما كان ممتنعاً كان ممتنعاً، لأن الله تعالى أخبر أنه إنما أنزل القرآن على لغة العرب لا على غيرها، ولا معنى لكونه على لغة العرب إلا أنه مهما جاز جاز، ومهما امتنع امتنع في كلام الله تعالى، فتأمل هذه القاعدة فإنه يتخرج عليها أحكام كثيرة وأسئلة صعبة في كلام الله تعالى».[1]

(١) الاستغناء في أحكام الاستثناء: ٥٤.

المراجع

١ - إبليس، عباس محمود العقاد، كتاب الهلال، القاهرة، العدد (١٩٢)، مارس ١٩٦٧م.

٢ - أساس البلاغة، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، بتحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٩.

٣ - الاستغناء في أحكام الاستثناء، شهاب الدين القرافي، تحقيق د. طه محسن، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد، ١٩٨٢.

٤ - إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس، تحقيق زهير غازي زاهد، وزارة الأوقاف، الجمهورية العراقية، بغداد، ١٩٨٠.

٥ - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ابو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٠.

٦ - التفسير الكبير، الإمام الفخر الرازي، دار الكتب العلمية، طهران، الطبعة الثانية.

٧ - الجامع لأحكام القرآن، المشهور بتفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، دار الكتب المصرية، ١٩٦٢.

٨ - جامع البيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار المعرفة، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٩٨٠.

٩ - جمهرة اللغة، ابن دريد الأزدي، مكتبة المثنى، بغداد، الطبعة الأولى ١٣٤٥هـ.

١٠ - حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، أحمد بن محمد الصاوي، ملتزم الطبع والنشر عبد الحميد أحمد الحنفي، القاهرة.

١١ - دور الكلمة في اللغة، أولمان، ترجمه وقدمه وعلق عليه د. كمال محمد بشر، دار الطباعة القومية، القاهرة، ١٩٦٢.

١٢ - ديوان عمر بن أبي ربيعة، الهيئة العامة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨.

١٣ - شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، حققه وقدم له د. إحسان عباس، سلسلة التراث العربي، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٩٦٢.

١٤ - ديوان النابغة الذبياني، صنعة ابن السكيت، تحقيق شكري فيصل، دار الفكر، دمشق ١٩٦٨.

١٥ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي، إدارة الطباعة المنيرية، بمصر.

١٦ - الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي، دار الكتاب العربي بمصر، الطبعة الثانية ١٩٥٧م.

١٧ - شرح شافية ابن الحاجب، الشيخ رضى الدين بن الحسن الاستراباذي، تحقيق محمد نور الحسن وزميله، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٥م.

١٨ - الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤.

١٩ - صحيح البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، دار الجيل، بيروت.

٢٠ - صحيح مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، بشرح النووي، الدار الثقافية العربية، بيروت، تصوير عن الطبعة الأولى عام ١٩٣٠.

٢١ - عالم الجن والملائكة، عبد الرزاق نوفل، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٢ - فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراسة في علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، ضبطه وصححه أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٤م.

٢٣ - القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث د. عبد الصبور شاهين، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٦.

٢٤ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٦.

٢٥ - لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت.

٢٦ - ما ينصرف وما لا ينصرف، أبو إسحق الزجاج، تحقيق د. هدى محمود قراعة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٩٧١م.

٢٧ - مجمل اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٩٨٤.

٢٨ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، القاضي أبو محمد محمد بن عبد الحق بن عطية الاندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٦٣.

٢٩ - مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٠ - معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩.

٣١ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مطابع الشعب، ٣٧٨هـ.

٣٢ - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، حقّقه وخرّج شواهده، د. مازن المبارك وزميلاه، دار الفكر بدمشق، الطبعة الأولى، ١٩٦٤.

٣٣ - المفضليات، المفضل بن محمد بن يعلى، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، ١٩٦٤.

٣٤ - المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، جلال الدين السيوطي، تقديم وتحقيق الدكتور التهامي الراجي الهاشمي، صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة.